بثينة خليفة قاسم
كاتبة من البحرين

الرشف الزلال من السحر الحلال

■ خلق الله عز وجل المرأة من ضلع أعوج، كي تستقيم به الحياة، ووهبها جنات عديدة لمن تملك القدرة على التفنن في إبراز تلك الجنات، يقول الشاعر:

إن النساء كالرياحين خلقن لنا
من منا لا يشتهي شم الرياحينا؟!

وتتفاوت قدرة الإناث على التدليل بمواطن الغواية لديهن بحسب تفاوتهن الفكري والحسي وكذا استثمار إمكانيات كل مساحة جسدية لديهن، وقد تناول الكاتب الفرنسي " رولان بارت" مؤلف " لذة النص " في دراسة حول "فن الاستربتيز" قدرة النساء على إتقان لعبة "المغطى والمكشوف" بخلق حركات تسهم في تحريك الخيال والإيحاء، وعلى ضوء ذلك، قد تفلح المرأة المغطاة في الإتيان بما تعجز عنه المرأة عارية الجسد . وقد سألت فنانة الإغراء الأولى في مصر "هند رستم" حول رأيها في فنانات إغراء الجيل الصاعد، أجابت :" تخطىء الكثير من فنانات الجيل الحالي في التركيز على جمال وجوههن بوضع مساحيق الماكياج صارخة الألوان، أو عمل رتوش تجميلية في نواحي أجسادهن من نفخ وشد وخلافه، معتقدين أن ذلك هو الإغراء، إنما الإغراء الحقيقي قائمٌ على الحركة !" .

وفي سياق ليس ببعيد يقول الشاعر العربي :

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلت بناسك متعبد؟!

إذ نستشف من البيت السابق ذكره أمورا عديدة متداخلة، أولها أن لكل زمان ومكان ما يميزهما في التعاطي مع مكنونات المرأة الداخلية، وما هو مستحب في مجتمع ما قد يكون منفرا في سواه، فالبرقع على سبيل المثال، يعد من أسباب فتنة بعض الرجال في المجتمعات الخليجية، لكنه يعتبر بوابة إرهاب في مجتمعات أخرى!

الأمر الثاني: لا معيار أو قاعدة ثابتة في معرفة ما يحرك نوازع الرجل في المرأة، فها هي امرأة ترتدي خماراً أسود استطاعت بحركة عفوية منها، أو لعلها مقصودة أن تلهم شاعرنا المتعبد، وفي تعبده أمر ثالث، حيث إن الرجال جميعهم بلا استثناء لا يستطيعون صبراً على فتنة المرأة !

وقد ترامى إلى مسمعي أن اللون الأسود في تلك الحقبة التي أنشد فيها شاعرنا أبياته، لم يكن لوناً مألوفاً لدى النساء، وللخمار الأسود قصته، حينما نفذت جميع ألوان الأقمشة من الأسواق، مما اضطر إحداهن إلى اقتناء اللون الأسود، ليصبح فيما بعد رمزاً للإغراء والإغواء وملكاً بلا منازع على الألوان.

أما كيف تُقتحم المرأة، فللمرأة ثلاثة مواضع أساسية يستطيع الرجل النفاذ إليها من خلالها لتحقيق مقاصده ومآربه في المرأة. أما الموضع الأول، فهو عقلها لا محالة، ومتى ما استطاع الرجل أن ينفذ إليه، استطاع أن يسيطر على باقي مواضع المرأة التي سنأتي على ذكرها بعد قليل .

وكنتُ أعتقد فيما مضى أن المرأة الجاهلة أو عديمة الثقافة، عليها أن تتفنن في " الفراش " باستغلال جسدها لتعويض جانب القصور المعرفي أو العلمي لديها، كونها "فاضية عقل"، حتى تبين لي مع مرور الزمن والتراكم المعرفي أن المرأة الجاهلة من السهل النفاذ إليها، ذلك لأن بوابتها الجسد دونما تحريك لعقلها، وفي ذلك استصغار لأنوثتها، والأنوثة اقتدار رغم ما يعتريه من انكسار في بعض الأحيان !

من هنا يصعب على الرجل النفاذ إلى ذات العقل والفكر، لماذا؟ لأنها تحترم أنوثتها ! وتعي تماماً أن الأنوثة اعتزاز وجمال داخلي قبل أن يكون جمالاً خارجياً، وهي بحاجة إلى براهين عديدة ووقت ليس بقصير كي تقتنع بإعجاب الآخر بها، ولكنها متى ما اقتنعت بعقلها، كانت الأكثر عطاءاً وتدفقاً، والأكثر فهماً لما يجول في رأس الرجل وخاطره.

أما الموضع الثاني، فهو قلبها. وفيه تشترك ذات العقل والجاهلة، فالمشاعر الإنسانية من حب ورغبة جنسية تكسر الحواجز الاجتماعية والعقلية، وهذا من فضل الله أن يجعل الاثنين في حالة توحد تام، يختلف عمقه ودرجته باختلاف فكر وروح محركه، أي أن العقل في المحصلة النهائية هو المحرك الفعلي للمشاعر الوجدانية.

أما الموضع الثالث، فهو جسد المرأة بكل تضاريسه ورغباته، وقد تناول الإرث الأدبي العربي المجيد سيكولوجية جسد المرأة بشيء من التفصيل ،ومن أشهر من كتب في ذلك جلال الدين السيوطي في كتابيه "الرشف الزلال من السحر الحلال" و"نزهة المتأمل ومرشد المتأهل" كما كتب محمد بن أحمد التيجاني "تحفة العروس ومتعة النفوس" وكتب شهاب الدين أحمد التيفاشي "نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب".

والرجل الذي ينظر للمرأة كجسد، هو رجل مادي، يبتغي الهناء لسويعات أو لعلها لحظات، وفي المقابل فإن المرأة التي تستغل جسدها لبلوغ غايات دنيوية (بائعة الهوى) هي امرأة ساقطة بكل معنى الكلمة من ترادفات وتجاذبات، مهما تعذرت بظروف أو مآس، ذلك أن الحرة تموت ولا تأكل من ثدييها.

زبدة القول، إن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة قوامها الاحترام المتبادل، وتحتاج المرأة في طريق حياتها إلى رجل (فارس) يجيد فن مخاطبة حواسها بما في ذلك الحاسة السادسة لديها، فإن صادفها لسوء حظها (حماراً) أحالها من فرس جميل إلى ..... أعزكم الله! ■

B7747@HOTMAIL.COM

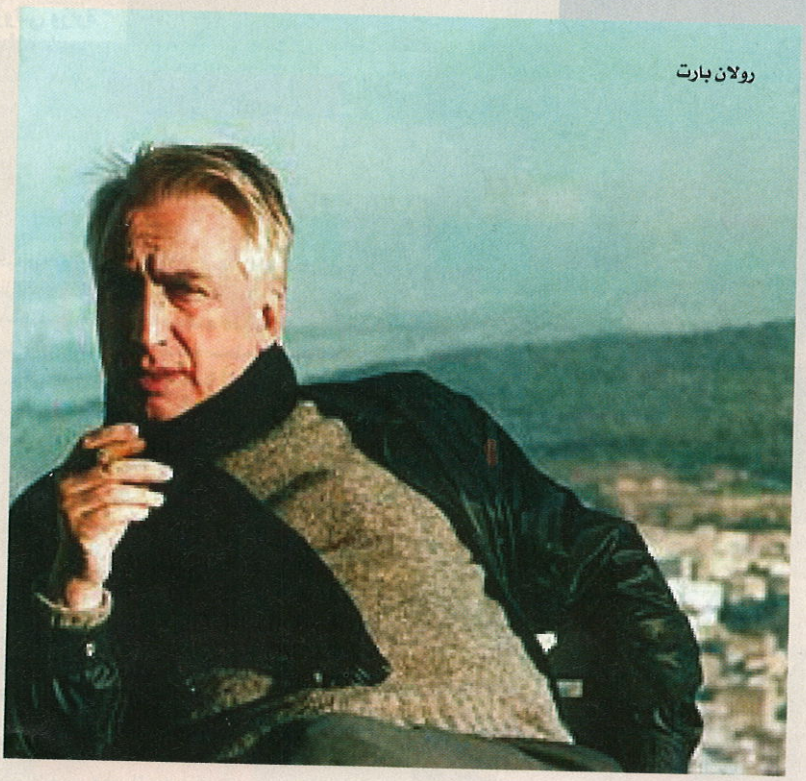

رولان بارت